تطور الدراسات المقارنة في القرن العشرين:

مع مطلع العشرينات كانت مختلف الجامعات الفرنسية تقبل شيئًا فشيئًا على تخصيص كراسٍ للأدب المقارن من جهة ونشر البحوث المنهجية من جهة أخرى.

ففي حوالي 1910 سارعت جامعة الصوربون إلى إنشاء كرسي ثاني للأدب المقارن، وفي 1911 بدأ "بول فان تييغ" "Paul van Tieghem" بحوثه المنهجية في الأدب المقارن، وبعد عقد واحد من الزمن نشر بحثًا بعنوان: "التركيب في التاريخ الأدبي": "الأدب المقارن والأدب العام" سنة 1921. وفي 1931 نشر "فان تييغم" كتابة "الأدب المقارن" الذي ظل مرجعًا أساسيًّا في نظرية الأدب المقارن لمدة طويلة.

هكذا تتابعت المؤلفات الفرنسية منهجًا وتطبيقًا، ففي سنة 1951 نشر "ماريوس فرانسوا غويار" كتابه بعنوان "الأدب المقارن"، وفي هذه الفترة بالذات، أي: في فترة الخمسينيات من القرن العشرين، بدأت خلافات تنشب بين أقطاب المدرسة الفرنسية للأدب المقارن التقليدية وبين كوكبة من الشباب من المثقفين اليساريين الفرنسيين أمثال: إيتيامبل وبيشوا و روسو و برونيل...

ومن أهم الأعمال التي نشرها هؤلاء والتي تعكس نظرةً متطورةً للأدب المقارن ودفعت الدراسات المقارنة في العالم نحو الأمام:

1- كتاب بعنوان: "ما هو الأدب المقارن؟" لبيشوا وبرونيل وروسو. Qu’est ce que la littérature comparée. Pichois, Brunel, Rousseau. نُشر سنة 1983.

2- في سنة 1989 نشر "إيف شوفرال" "Yves Chevral" كتابه بعنوان: "الأدب المقارن".

3- في سنة 1994 نشر "دانيال باجو" "Daniel Pageaux" كتابًا بعنوان: "الأدب العام والمقارن".

4- في سنة 1996 نشر "إيف شوفرال" كتابًا آخرَ بعنوان: "مقدمة في الأدب المقارن".

5- في سنة 1996 بشر "بيار برونيل" "Pierre Brunel" كتابًا بعنوان: "مقالة في الأدب العام والمقارن". La Dissertation de la littérature générale et comparée

6- في سنة 1998 نشر "بيار برونيل" و"جان مارك مورة" كتابًا بعنوان: "شرح للأدب العام والمقارن".

Le commentaire en littérature générale et comparée..

3- الدراسات المقارنة في أمريكا:

التفت الأمريكان إلى الدراسات المقارنة في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر، وأول مَن أدخل هذه المادة إلى الجامعات الأمريكية "القس تشارلز تشاونسي شاكفورد" "Charles Chauncy Shakford". وقد أنشئ أول كرسي للأدب المقارن في أمريكا في السنة الجامعية 1890 و1891 في جامعة "هارفارد" "Harvard".

وفي سنة 1904 أنشئ قسم كامل للأدب المقارن في نفس الجامعة -هارفارد- وتولى رئاسته لمدة خمسة عشر سنة الأستاذ ه.س. "سكوفيلد" "H.S.C Schofield"، وفي سنة 1910 أسس سكوفيلد مجلة أسماها "دراسات من هارفادر في الأدب المقارن". نشر معها مجموعةً من الدراسات المقارنة الصغيرة، وفي سنة 1942 أنشأ "آرثر، أي، كريستي" "Arthur E.Christy" -طِبقًا لتوجيهات المجلس القومي للأستاذة اللغة الإنجليزية- لجنةً للأدب المقارن، تعمل على تشجيع ما أسمته بالأدب العام وخاصةً الأدب المقارن، وإدراجه ضمن البرامج المقررة على طلبة المدارس والكليات والجامعات، وفي سنة 1950 ظهرت أول قائمة للمراجع اللازمة للأدب المقارن نشرتها جامعة "شمال كارولينا" "North Corolina".

وفي سنة 1952 ظهر المجلد الأول من حوليات الأدب العام والأدب المقارن، وفي سنة 1954 ظهر كتاب هام بعنوان: "موجز عام للأدب المقارن" من دانتي إلى أونيل "لفريدريك"، وفي نفس السنة تشكل في أمريكا فرع الرابطة الدولية للأدب المقارن.

هذا، وقد تأسست عدة مجلات خاصة بمجال الدراسات المقارنة مثل مجلة "المسرحية المقارنة" التي تصدرها جامعة "غرب ميشيغن"، ومجلة "الجنس الأدبي" التي تصدر في "شيكاغو" سنة 1967.

وفي سنة 1961 ظهرت أول مجموعة من المقالات المتخصصة في الأدب المقارن، وجمعت في كتاب واحد تحت عنوان: "الأدب المقارن" منهجه وآفاقه.

وفي السبعينيات أخذ أساتذة الجامعات الأمريكية يتنافسون في إصدار كتب وأبحاث جامعية في هذا المجال، والملاحظ أن معظم هذه الكتب تعتمد على جمع المقالات من مؤلفين متعددين.

وقد ظل الاتجاه التطبيقي هو الغالب في المؤلفات الأمريكية في الأدب المقارن، ولعل أهم بحث يمكننا ذكره في هذه المرحلة هو كتاب بعنوان "نظرية الأدب" "لأوستين واران"، و"رينيه ويلك"، الذي نشر سنة 1971، وفي سنة 1973 نشر "شولتز" مقالًا بعنوان: "الأدب المقارن"، وفي سنة 1978 نشر كتاب بعنوان: "الأدب المقارن كنظام أكاديمي"، إضافةً إلى مقالات "هنري رماك" "Henry Remak" في هذا المجال.

وفي الثمانينيات بدأ الأمريكان يخرجون من دائرة الآداب الأوروبية نحو الآداب الأخرى كآداب أمريكا الجنوبية وأفريقيا وآسيا...

وأهم ما يميز أمريكا في هذا المجال وفرة المنشورات السنوية التي تصدرها الجامعات والروابط الأدبية، منذ سنة 1958، مثلًا بدأ يظهر الكتاب السنوي للرابطة الدولية للأدب المقارن. كما كان الأمريكان ينشطون كثيرًا ضمن مؤتمرات الأدب المقارن، فقد استضافت الولايات المتحدة الأمريكية المؤتمر الثاني للرابطة الدولية للأدب المقارن سنة 1958 في جامعة كارولينا الشمالية والمؤتمر العاشر لهذه الرابطة الذي انعقد سنة 1982 بنيويورك.

4- الدراسات المقارنة في أوروبا الشرقية:

لم تتقبل بلدان أوروبا الشرقية الأدب المقارن حتى كمجرد فكرة، وبعد المرحلة الستالينية حدث انفتاح نسبي في الثقافة والأدب أفاد منه الأدب المقارن نسبيًّا، إذ افتتح قسم للأدب المقارن في معهد الأدب الروسي في "ليننغراد" لكن مع ذلك ظل الأدب المقارن مهمشًا في هذه الرقعة الجغرافية رغم شدة اعتناء هذا الوسط بالآداب الأجنبية واحتفاله بها، كانت تصدر في الاتحاد السوفيتي مجلتان تحت اسم الآداب الأجنبية: الواحدة في "موسكو"، والثانية في "كييف" ولكن تشير إطلاقًا لمسائل الأدب المقارن.

وفي الستينيات ظهر انفراج نوعي نسبي في حقل الأدب المقارن، ونشطت محاولات لجمع شمل المقارنين الاشتراكيين في إطار ندوة "بودابست" سنة 1962 وندوة "برلين" سنة 1966 وبدأت بعض الإسهامات الاشتراكية تأخذ طريقها إلى الساحة العالمية للأدب المقارن بشكل اجتهادات فردية، تحاول أن تفيد من معطيات الماركسية في إعطاء الأدب المقارن مضمونًا اجتماعيًّا إنسانيًّا، والملاحظ أن الدراسات التطبيقية كانت أكثرَ انتشارًا ورواجًا في هذه المنطقة -الاتحاد السوفيتي- أما رومانيا فقد كانت تهتم بالجانب النظري أكثر.

5- الدراسات المقارنة في آسيا واليابان:

تتجه الدراسات المقارنة بخطَى ثابتة نحو العالمية ولم تعد حكرًا على أوروبا الغربية و أمريكا.

وأثناء فترة السبعينيات والثمانينيات نشطت حركة ترجمة مقارنة في بلدان آسيا وأفريقيا، كما أنشئت فروع الرابطة الدولية للأدب المقارن في العديد من بلدان آسيا ومن أهمها "الصين" حيث تتصاعد أصوات قوية لصالح الأدب المقارن في منظمة عُرفت دائمًا بعدم ترحيبها بالانفتاح على العالم، وفي ظل هيمنة أيديولوجية للحكم على المؤسسات الثقافية والتعليمية. وإلى جانب الصين هناك جامعات تايوان التي تصدر دوريات أدبية باللغة الانكليزية، تظهر اهتمامًا متزايدًا بالأدب المقارن وكذا كوريا الجنوبية.

أما فيما يخص الهند فعلى الرغم من تفتحها التقليدية على الكتلتين الشرقية والغربية، فإن انشغال باحثيها بالقضايا الداخلية للعلاقات بين اللغات والآداب في شبه القارة الهندية صَرَفَها عن الإسهام المنتظر في الأدب المقارن.

لكن يمكن القول: إن هناك بحوثًا هندية وباكستانية متواصلة تهم الأدب العربي المقارَن؛ لأنها تركز على طبيعة العلاقات الثقافية والأدبية بين الحضارتين الهندية والعربية، لا سيما من خلال الإسلام.

وتستحق اليابان وقفة خاصة؛ لأنها أخذت منذ السبعينيات تحتضن تطورات مقارنة مهمة، ومن أبرزها دخول الأدب المقارن نسبيًّا إلى الجامعات اليابانية، وظهور بعضُ تآليفٍ يابانية تحمل هذا العنوان، ونشاط الرابطة اليابانية للأدب المقارن في الساحة الدولية.

وأتَى عقد المؤتمر الثالث عشر للأدب المقارن في طوكيو في 1991 دليلًا على خروج الرابطة الدولية من البوتقة الغربية.

ع1:

تعريف الأدب المقارن ونشأته

ج2:

محاضرات في الأدب المقارن، لإبراهيم عوض.

الأدب المقارن:

هو فرع من فروع المعرفة، يتناول المقارنة بين أدبين أو أكثر، ينتمي كل منهما إلى أمة أو قومية غير الأمة، أو القومية التي ينتمي إليها الأدب الآخر، وفي العادة إلى لغة غير اللغة التي ينتمي إليها أيضًا.

وهذه المقارنة قد تكون بين عنصر واحد أو أكثر من عناصر أدبٍ قومي ماظ ونظيره في غيره من الآداب القومية الأخرى؛ وذلك بُغيةَ الوقوف على مناطق التشابه ومناطق الاختلاف بين الآداب ومعرفة العوامل المسئولة عن ذلك.

كذلك فهذه المقارنة قد يكون هدفها كشف الصلات التي بينها وإبراز تأثير أحدها في غيره من الآداب، وقد يكون هدفها الموازنة الفنية أو المضمونية بينهما، وقد يكون هدفها معرفة الصورة التي ارتسمت في ذهن أمة من الأمم عن أمة أخرى من خلال أدبها، وقد يكون هدفها هو تتبع نزعة أو تيار ما عبر عدة آداب... إلخ.

وهذا التعريف قد تمت صياغتُه وبلورتُه من خلال التعاريف والمفاهيم المتعددة لهذا الفرع من فروع العلم، تلك المفاهيم والتعريفات التي تتباين حسب تباين المدرسة أو الشخصية التي تقود هذا التيار أو ذاك من تيارات البحث المختلفة، وهو يختلف قليلًا أو كثيرًا عن التعاريف الموجودة في كتب الأدب المقارن.

ع2:

ميادين الأدب المقارن ومدارسه

ج1:

محاضرات في الأدب المقارن، لإبراهيم عوض.

وميادين الأدب المقارن متعددة:

- فقد يكون ميدانه المقارنة بين جنس أدبي كالقصة أو المسرحية أو المقال أو المقامة أو القصيدة أو الملحمة أو الأنقوشة -أي: "الإبيجرامة"- في أدبين مختلفين أو أكثر، وقد يكون ميدانه المقارنة بين الأشكال الفنية داخل جنس أدبي من هذه الأجناس في أدب ما ونظيراتها في أدب آخر، كنظام العروض والقافية أو الموشحات مثلًا.

- وقد يكون ميدانه الصور الخيالية كالتشبيه والاستعارة والكناية والمجاز، وقد يكون ميدانه النماذج البشرية والشخصيات التاريخية في الأعمال الأدبية، وقد يكون ميدانه التأثير الذي يُحْدثه كتاب أو كاتب ما في نظيره على الناحية الأخرى أو مجرد الموازنة بينهما لما يُلْحَظ من تشابههما مثلًا.

- وقد يكون ميدانه المقارنة بين المذاهب الأدبية كالكلاسية والرومانسية والواقعية والرمزية والبرناسية هنا وهناك، وقد يكون ميدانه انعكاس صورة أمة ما في أدب أمة أو أمم أخرى... وهكذا.

ع2:

ميادين الأدب المقارن ومدارسه

ج2:

الأدب المقارن ودور الأنساق الثقافية في تطور مفاهيمه واتجاهاته، لحيدر محمود غيلان.

الأدب المقارن وسلطة الوعي القومي "الاتجاه الفرنسي":

ظهر مصطلح الأدب المقارن "Comparative Literature" في فرنسا على يد آبل فيلمان "Able Villeman" عام 1828م، وقد تحدد مفهومه في طور النشأة وفقًا لخلفيات ومقتضيات تطلبتها تلك المرحلة كان لها دور في رسم ملامح ما سُمي بالاتجاه الفرنسي في الأدب المقارن، فمما لا شك فيه أن أسس هذا الاتجاه لم تشكلها المصادفة، وإنما كانت استجابة لنسق ثقافي اأستدعى تحديد مجال هذا الفرع الجديد من الدراسات الأدبية بدراسة التأثير المبني على حقائق وعلاقات تاريخية بين أدبين قوميين مختلفين في اللغة، فما الذي دفع المقارن الفرنسي إلى الاهتمام بإثبات التأثير، ودراسة العوامل والعلاقات التاريخية، وما يتصل بها من الوسائط التي تساعد على نقل أدب قومي إلى أدب قومي آخر، واشتراط اختلاف الأدبين في القومية واللغة حتى تدخل الدراسة ضمن اهتمامات الأدب المقارن؟

لابد أولًا من الإشارة إلى أن ظهور الأدب المقارن تزامن مع ظهور النزعة القومية الفرنسية، التي أدت إلى ثورة الفرنسيين على الكتابة باللغات اللاتينية، واتجاههم إلى اللغة الفرنسية، حيث نشأ عصر التنوير في القرن الثامن عشر، على أسس اللغة والثقافة في فرنسا، فقد اتجه الفرنسيون إلى الاهتمام بدراسة اللغات الرومانسية وآدابها، والكشف عن دورها في نهضة الآداب الأوربية الحديثة، في محاولة لإعادة الاعتبار لهذه اللغات التي تمثل أساس اللغات القومية الأوربية الحديثة، بعد أن تعرضت للإهمال بحجة أن الأدب لا يكون ساميًا إلا إذا كان مكتوبًا باللغة اللاتينية.

ومن هنا ندرك سر تركيز أصحاب هذا الاتجاه على القومية في دراسة التأثير، واشتراط اختلاف اللغة حتى تصح المقارنة، فالفرنسي في دراسته المقارنة -لا سيما في طور النشأة- كان حريصًا على إثبات إسهام القوميات -لا سيما القومية الفرنسية- في نهضة الآداب الأوربية المختلفة وقد دفعه اعتزازه بقوميته إلى اشتراط اختلاف لغة الأدبين المقارنين؛ لكي يكشف عن أهمية تعدد اللغات، ويظهر تميز لغته الفرنسية عن اللغة اللاتينية وعن اللغات الأوربية الأخرى.

وقد أدَّى الاهتمام برسم ملامح القومية الفرنسية وإثبات تفردها إلى ازدهار علم التاريخ في القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر في فرنسا، فقد وضع أسس هذا المنهج فرانسوا جيرو وأوجستين فيري، من خلال كتابتهما للتاريخ القومي العام لفرنسا، وبعض الدول الأوروبية، في العقدين الثالث والرابع من القرن الثامن عشر، وقد أفاد النقاد والأدباء الفرنسيون من هذا المنهج في كتابة تاريخ الأدب الفرنسي، وقاموا بترسيخ منهج النقد التاريخي، الذي ازدهر على يد سانت بيف، وهيبولت تين، وآخرين، حيث نظروا إلى الأدب من خلال عوامل تاريخية: هي الجنس، والزمان، والمكان، فجنسية الأديب وقوميته تلعب عندهم دورًا في تحديد خصائص الأدب. وهذه النظرة إلى أهمية الجنسية ناتجة عن بروز الوعي القومي في فرنسا وغيرها من دول أوربا، مما أدى إلى تطور العلوم التاريخية التي تبحث في أصول الأنواع البشرية، وأنواع المعارف والعلوم الأخرى، ومنها نظرية دارون في النشوء والتطور.

وكان من الطبيعي في ظل التوجهات القومية في اللغة والأدب والتاريخ في فرنسا، أن يتجه الأدب المقارن اتجاهًا قوميًّا تاريخيًّا، هدفه أن يكشف عن الإسهامات التي يقدمها أدب قومي في تطور أدب قومي آخر.

لذا اشترطوا في دراسة التأثير والتأثر: أن تكون العلاقة بين الأبين القوميين مبنية على وقائع ووثائق تاريخية، تثبت انتقال الأدب المؤثر إلى الأدب المتأثر، مما أدى إلى التركيز على وسائط التأثير كالترجمة والرحلات والكتب، وتتبع سيرة الكاتب المؤثر، وسيرة الكاتب المتأثر، وكأن المهمة الأساسية للمقارنة في هذا الاتجاه، تنتهي عند إثبات التأثير بين أدبين قوميين.

وما يقوي فرضية ارتباط الأدب المقارن الفرنسي بالنزعة التاريخية القومية، أنه نشأ في البداية فرعًا من فروع تاريخ الأدب، فقد وجد المؤرخ الأدبي الفرنسي أثناء متابعته لتطور الأدب الفرنسي، أن هنالك جوانبَ تخرج عن نطاق اهتمامه ودائرة عمله، تتمثل في خروج الأدب القومي إلى آداب أخرى مؤثرًا ومتأثرًا وحتى يتم إكمال كتابة تاريخ الأدب الفرنسي لا بد من تتبع هذه التأثيرات.

فقد ظهر الأدب المقارن عند فليمان تلبيةً لهذه الرغبة، عندما كان يلقي محاضرات في جامعة السربون عن تاريخ الأدب الفرنسي "1828- 1829" حيث تناول في هذه المحاضرات التأثيرات المتبادلة بين الأدب الفرنسي والأدب الإنجليزي، وتأثير الأدب الفرنسي في إيطاليا في القرن الثامن عشر، هدفه من وراء ذلك تقديم صورة عما تلقته الروح الفرنسية من الآداب الأجنبية وما أعطته لها من أجل كتابة تاريخ أدب شامل لفرنسا.

وظل هذا الهدف القومي التاريخي متحكمًا في سير الدراسات المقارنة بعد فليمان، ويتضح ذلك من خلال تركيز المقارنين على التأثير الثنائي المتبادل بين أدبين قوميين، يكون عادةً الأدب الفرنسي أحد طرفي هذه المقارنات؛ فما دام الهدف هو إثبات الهوية القومية بإكمال كتابة تاريخ الأدب القومي، فإن المؤرخ عادةً يتمركز حول أدب قومية واحدة، ولا يستطيع القيام بكتابة تاريخ عدة آداب في آن واحد، وهذا أيضًا ما دفعهم إلى عدم الاعتراف بالدراسات المقارنة التي تتسع لتشمل عدة آداب في وقت واحد، وكذلك الدراسات التي تتناول التشابه بين الآداب القومية، حيث يتم تصنيفها تحت ما يسمى بالأدب العام "General Literature".

فدراسة الرومانسية في الأدب الأوروبي لا تدخل عندهم في الأدب المقارن، وكذلك دراسة تأثير شكسبير في الأدب الأوربي بشكل عام؛ لأن هذا النوع من الدراسات -كما يبدو- لا يتفق مع توجههم القومي الذي يهدف إلى كتابة تاريخ الأدب الفرنسي، فدراسة التأثير المبني على حقائق ووقائع تاريخية تثبت دور كاتب وأمة في مسيرة أدب قومي هي المعول عليها، أما دراسة التشابه المبني على توارد الخواطر وعلى الصدفة، وكذلك دراسة تأثر عدة آداب قومية جملة واحدة بأديب وباتجاه أدبي، فلأنها لا تخدم وتوثق وتكمل كتابة تاريخ الأدب لقومية محددة؛ فقد أخرجها أصحاب هذا الاتجاه من دائرة الأدب المقارن.

ويظهر تأثير التوجه الثقافي القومي في سير الأدب المقارن في فرنسا من خلال تتبع جهود أبرز المقارنين الفرنسيين، حيث تظهر الثنائية والتمركز حول القومية والتوجه التاريخي، من خلال عناوين أبحاثهم وكتبهم التطبيقية.

فقد ألقى جان جاك أمبير "J. J. Ampere"1930 م، محاضرات في مرسيليا وباريس تمحورت حول التأثيرات المتبادلة بين الأدب الفرنسي، وعدد من الآداب الأجنبية في العصور الوسطى، وهذا النسق أيضًا جعل الأديب المقارن الفرنسي المشهور "بول فان تيجم" يركز على التفريق بين الأدب المقارن والأدب العام، فيجعل الأدب المقارن مختصًّا بدراسة العَلاقات الأدبية الثنائية المبنية على التأثير المثبت بالوثائق التاريخية، حيث نشر عام 1921م بحثًا تحت عنوان: التركيب في التاريخ الأدبي: الأدب المقارن والأدب العام، مما يوحي بانطلاقه من تاريخ الأدب الفرنسي ويكشف عن تأثره بالمؤرخ الفرنسي غوستاف لانسون، لا سيما أن له عددًا من المؤلفات في تاريخ الأدب.

وعندما أدخل فرديناند برونتير الأدب المقارن إلى الكلية الطبيعية العليا في نهاية القرن التاسع عشر، فإنه أراد بذلك مقارنة تطور الأدب الفرنسي بتطور الآداب الغربية الأخرى، ومتابعة تطور الأجناس الأدبية كما فعل آخرون مع البشر.

وإذا نظرنا في عناوين المجلدات التي صدرت في عام 1930م للدراسات المقارنة في فرنسا، نجد التركيز على تاريخ الأدب الفرنسي في علاقاته بالآداب القومية المكتوبة بلغاتٍ أخرى، يطغَى على المجالات الأخرى.

إن هذا التوجه في الأدب المقارن، يكشف عن طبيعة النسق الثقافي المهيمن في تلك المرحلة، فمن الطبيعي أن ينطلق المهتم بإثبات هويته القومية ومكانتها، من الحرص على دراسة تفاعل أدبه القومي مع الآداب القومية الأخرى، وتوثيق هذا التفاعل بالدلائل والوقائع التاريخية، وهذا يجعلنا نتفهم وجهة نظر هؤلاء ونعترف بأهمية جهودهم، وفي الوقت نفسه نتفهم موقف المعارضين لهذا الاتجاه؛ فقد انطلقوا من أنساق وخلفيات ثقافية مختلفة.

ومن غير الطبيعي أن يتوقف تطورالأدب المقارن عند مرحلة كانت تلبي احتياجات ملحة لدى الفرنسيين ومَن تأثر بمنهجهم؛ لتلبية متطلبات ثقافية مشابهة، فالاعتزاز بالقومية وتضخيم دورها مرحلة تمر بها معظم الشعوب، وقد وجد الأتجاه الفرنسي قبولًا في معظم دول العالم، ولكنه تعرض للهجوم والرفض عندما ظهرت أنساق وتوجهاتٌ مناهضة للتركيز على دور القوميات في تطور الثقافات والآداب.

الأدب المقارن وسلطة الوعي الإنساني "الاتجاه الأمريكي":

لم يجد مصطلح الأدب المقارن "comparative literature" في اللغة الإنجليزية القبول الذي وجده في اللغة الفرنسية، مما أدى إلى تأخر الاهتمام بهذا النوع من الدراسات، لاسيما في الجامعات الإنكليزية والأمريكية، وأدى أيضًا الى ظهور أعتراضات على المفهوم الفرنسي، نتيجة لظهور سياق ثقافي معارض للتاريخية القوميو والاجتماعية، شكل مايعرف بالاتجاه الأمريكي.

فالإنجليزية لا تحبذ اجتماع كلمة "مقارن": comparative مع كلمة "أدب" literature، وذلك لأن كلمة أدب لم تعد تحمل كما هو الحال في الفرنسية في معناها معرفة الأدب ودراسته، وإنما أصبحت تدل على الكتابات الأدبية بشكل عام، ولذا نجد أن الشكوى من غموض مصطلح الأدب المقارن ظهرت في أول محاولة منهجية في الإنجليزية على يد بوسنت posenett في كتابه "الأدب المقارن" عام 1886م، وقد دفعت هذه الخلفية اللغوية الأستاذ لين كوبر 1927م - 1943م إلى تسمية القسم الذي ترأسه في جامعة كورنيل الأمريكية قسم "الدراسة المقارنة للأدب" لأن مصطلح الأدب المقارن في رأيه لا أصل له، ليس له معنى ولا مبنَى، فلو جاز لنا لجاز أن نقول: البطاطا المقارنة، أو القشور المقارنة.

فقد ظلت دراسة الأدب المقارن حتى عشرينيات القرن العشرين في أمريكا تختلط بدراسة الأدب العام، والأدب العالمي، والإنسانيات، ودراسة الكتب العظيمة، وهذا لا يعود -كما يبدو- إلى جهل الدارسين لمفهوم الأدب المقارن ومجالاته لدى الفرنسيين، بل كان هذا الاختلاف نتيجة لظهور متطلبات ثقافية وتوجهات بحثية بلورها رينيه ويليك في ثورته على المفهوم الفرنسي، فقد أعلن في المؤتمر الثاني للرابطة العالمية للأدب المقارن في سبتمبر 1958م، عن "أزمة الأدب

المقارن" وبين إشكالات المصطلح، وطالب بإعادة النظر في مفاهيمه ومجالاته.

فلا يبدو أن رينيه ويليك ينطلق من موقف شخصي، وذلك لأن الآراء التي طرحها يمكن ربطها بنسق ثقافي تطلب ظهور مفاهيم جديدة للأدب المقارن، فقد شهد رينيه ويليك وعدد من المقارنين والنقاد في أمريكا في مطلع القرن العشرين عددًا من المتغيرات الفكرية والفلسفية،أدت إلى تكوين نسق ثقافي، يرفض التاريخية القومية والاجتماعية، فتركيبة المجتمع الأمريكي المكون من عرقيات وقوميات متعددة،يجعل من التعصب للجنس أوللقومية الأم نوعًا من العبث، كما أن حداثة تاريخ هذه الدولة مقارنة بتاريخ القومية الفرنسية يجعل الحاضر يحتل أهمية أكبر من الماضي التاريخي، إضافة إلى أن المجتمع الأمريكي قائم على النظام الرأسمالي الذي يعطي الامكانات الانسانية الفردية سلطة تفوق سلطة المجتمع، و سلطة القومية.

وقد بدأ النفور من التوجه التاريخي في تناول العلوم والآداب في إنجلترا وأمريكا منذ مطلع القرن العشرين بفعل تأثير الحركة الإنسانية الجديدة، التي نبذت التعصب للقومية أو الجنس لما نتج عن هذا التعصب من حروب، وما أدى إليه من مبالغة في تقدير دور الوراثة أو الجنس في تحديد نمط التفكير والإبداع، وما تطلبه هذا الاعتقاد من ولع بالبحث التاريخي عن أصول المؤلفين، وعن بيئآتهم.

وقد لاقت أفكار هذه الحركة رواجًا لدى عدد من الباحثين في أمريكا؛ لأن هذا النسق الثقافي أوجد مخرجًا مهمًّا للولايات المتحدة الأمريكية من إشكالية الأصول القومية المتعددة للشعب الأمريكي، الذي عانَى من الحروب القائمة على التمييز العنصري، إضافة إلى ما أحدثته الحرب العالمية الأولى من أثر جعل كثيرًا من الفلاسفة والمفكرين والأدباء والنقاد ينبذون التعصب لقومية، أو عِرق.

ونستشف أثر هذا التوجه الإنساني في الأدب والدراسات الأدبية، ومنها الأدب المقارن، من خلال قول رينيه ويليك عن كتاب المؤلف الأمريكي أرفنج بابيت: وكان كتاب بابت المعنون "الأدب والكلية الأمريكية"، قد نشر أصلًا في عام 1908م، لكنه لا يزال واحدًا من أقوى الهجمات على القرن التاسع عشر الذي كان بابت آنذاك يربطه بالفذلكة الألمانية المؤذية. وقد تنبأ بأن الأدب المقارن سيكون من أتفه المواضيع إن لم يخضع للمعايير الإنسانية، ولا تعد تسمية هاري ليفن أستاذ كرسي أرفنج بابت للأدب المقارن، تكريمًا لارفنج بابت فقط، بل ضمانًا لاستمرار المعايير الإنسانية في جامعة هارفارد.

وأدى هذا التوجه الرافض للتمحور حول التاريخ الاجتماعي أو القومي في تناول الأدب، إلى ثورة عدد من النقاد الأمريكيين ومن بينهم رينيه ويليك وجماعة النقد الجديد على المعايير الأكاديمية التي تهتم بالعوامل التاريخية أكثر من اهتمامها بالنص الأدبي وجمالياته، ووجدوا في أفكار الشكلانيين الروس الرافضين للتاريخية الاشتراكية أو الماركسية ما يلبي توجههم الأدبي، وهذا ما يؤكده رينيه ويليك في قوله: عندما عدت إلى براغ عام 1930م انضممت لفترة من الزمن إلى حلقة براغ اللغوية، فأطلعت على أفكار الشكليين الروس، وكان رومان ياكبسن موجودًا في براغ آنئذٍ، وكان ناقدًا لاذعًا للمنهجية المترهلة التي يتبعها التاريخ الأدبي الأكاديمي.

وقد زودت هذه الحلقة الدارسين الأمريكيين بمنهجية جديدة، مضادة للتيار التاريخي القديم، فاتجهوا إلى التركيز على النصوص الأدبية، مما أدَّى إلى نشوب صراع بين النقد الأدبي، والتاريخ الأدبي، كان له أثر في حدوث تغيير عميق في المؤسسات الأكاديمية وغيره.

ومن هنا ندرك أبعاد ثورة رينيه ويليك على المفهوم القومي التاريخي للأدب المقارن، فقد رأى ويليك في الإصرار على المفهوم القديم للأدب المقارن تحديًا لهذه التطورات التي حدثت في أمريكا. يقول ملخصًا خلفيات معارضته للمفهوم الفرنسي:

وتعكس الثورة ضد الوضعية التي وصفتها في أول محاضرة عامة لي، ألقيتها في ييل في شباط 1946م، تلك الثورة التي تمثلت في كروتشه وتاريخ الأفكار الألماني، وفي الشكليين الروس، وفي الإنسانية الجديدة عند الأمريكيين، وت.س.إليوت، وف.ر.ليفس، والنقاد الجدد. ولذلك شعرت عندما أعاد المستر فريدرخ في أول كتاب سنوي للأدب المقارن والأدب العام 1952م، نشر المقدمة الموجزة التي كتبها جان ماري كاريه لكتاب "الأدب المقارن" 1951م الذي ألفه م.ف. غيار، أن ذلك بمثابة التحدي لكل ما تحقق في هذا البلد، إذ إن كاريه -وهو أول رئيس للرابطة العالمية للأدب المقارن- يعيد في هذه المقدمة التعبيرَ عن المفهوم القديم للدراسة الأدبية وللأدب المقارن على وجه الخصوص، وبأضيق ما يمكن من مصطلحات: الأدب المقارن جزء من التاريخ الأدبي يهتم بالصلات الحقيقية بين الأعمال، وحيوات الكتاب الذين ينتمون إلى آداب متعددة، ويستبعد كاريه في هذه المقدمة -على الأقل- الأدب العام من موضوع دراستنا، ويستنكر كل مقارنة لا تدعمها الصلات المجسدة باعتبارها تمرينات بلاغية.

ويرفض الدافع القومي في دراسات التأثير؛ لأنه في رأيه يهدف إلى تنمية مدخرات أمة الباحث، عن طريق إثبات أكبر عدد ممكن من التأثيرات التي أثرتها أمة على الشعوب الأخرى، أو عن طريق إثبات أن أمة الكاتب قد هضمت أعمال أحد العظماء الغرباء، وفهمته أكثر من أي أمة أخرى.

وهذا الرفض للدافع القومي، لا يعني أن ويليك ومن معه يدعون الى الانسلاخ عن الهوية القومية،بل لأنهم وجدوا المفهوم الإنساني أكثر انسجامًا مع متغيرات العصر وطبيعة الأدب، وهذا ما يشير إليه ويليك في قوله: ونحن هنا في أمريكا قد نحقق في نظرتنا نحو أوروبا ككل نوعًا من الاستقلالية، رغم أننا قد ندفع ثمن الانقطاع عن الجذور والغربة الروحية، ولكننا بمجرد أن ننظر إلى الأدب لا كجزء من معركة الحصول على مزايا ثقافية، أو كسلعة من سلع التجارة الخارجية، أو كدليل السيلوكوجية الوطنية، سنحصل على الموضوعية الصحيحة الوحيدة المتاحة للإنسان...وما أن ندرك طبيعة الفن والشعر وانتصاره على ما يعتري الإنسان من زوال، وعلى ما ينتظره من مصير، وخلقه لعالم جديد من صنع الخيال، حتى تختفي الأباطيل القومية، ويظهر الإنسان بعموميته، الإنسان في كل مكان، وكل زمان، وبكل تنوعاته.

فالتركيز على العلاقات الثنائية القومية يفقد الأدب المقارن أهميته -في رأي رينيه ويليك- ويجعله يندرج تحت تاريخ الأدب، فينصرف جهد الباحث إلى عوامل التأثير، والبحث عن الوثائق التاريخية، التي تثبت التأثير، دون الاهتمام بالنص الأدبي، مما يؤدي -مثلًا- إلى عدم اختلاف دراسة أثر بيرون في إنكلترا، عن دراسة أثره في فرنس.

ويرفض شرط اختلاف اللغة بين الأدبين المراد مقارنتهما، لأن هنالك عدد من الآداب القومية - كمايقول- لغتها واحدة، مع اختلاف ثقافتها، وبعدها المكاني، ومنها مثلًا الأدب البريطاني والأدب الأمريكي وغيرها فالمدرسة الفرنسية تعدهما أدبًا واحدًا، بذلك يندرج الأدب في الولايات المتحدة الأمريكية ضمن الأدب في بريطانيا، وهذا نوع من التعسف فعلينا أن نقر بأن الآداب في لغة واحدة، هي آداب قومية متميزة، كما هي الحال بين الأدبين الأمريكي ولاير لندي، وإلا سيؤدي ذلك إلى تجاهل كثير من الآداب القومية، مثل الأدب البلجيكي والأدب السويسري والنمساوي.

ويريد ويليك من وراء هذا الرفض الكشف عن الخلل الذي وقع فيه، اتباع الاتجاه الفرنسي بسبب التعصب للغتهم والقوميتهم.

ومن منطلق إنساني يطالب بأن يتسع مفهوم الأدب المقارن؛ ليشمل دراسة التأثير والتشابهات بين عدد من الآداب، وعدم الفصل بين الأدب المقارن والأدب العام، فالاتجاه الفرنسي جعل الأدب المقارن مختصًّا بدراسة التأثير بين أدبين قوميين، وجعل الأدب العام مختصًّا بدراسة التأثيرات والتشابهات بين عدد من الآداب القومية، حيث يرى ويليك في هذا الفصل نوعًا من التعسف الذي لا معنى له؛ فالآداب القومية ليست معزولة عن بعضها؛ لأن هنالك كثيرًا من السمات التي تجمع بين الآداب الأوربية والأدب في الولايات المتحدة، وروسيا، وأمريكا اللاتينية.

في إشارة إلى أن إثبات هذه الصلات تاريخيًّا لم يعد ضروريًّا.

ويضع رينيه ويليك حلًّا لهذه الأزمة منطلقًا من الخلفيات التي ذكرناها سابقًا، والتي أفرزت التوجه نحو النص في الدراسات الأدبية، ومنها الأدب المقارن، بوصفه عملًا إنسانيًّا جماليًّا لا يهمنا جنسية مؤلفه أو ظروفه الاجتماعية، فيرى ويليك أن يتم التركيز في الأدب المقارن على الأدب وجمالياته لا على العوامل الخارجية، وهذا هو التوجه العام لأصحاب مدرسة النقد الجديد في أمريكا، يقول: إن البحث الأدبي هذه الأيام يحتاج بالدرجة الأولى إلى أن يعرف ماذا يدرس، وعلى ماذا يركز؟ إذ يجب فصله عن دراسة تاريخ الأفكار، أو عن المفاهيم والعواطف الدينية والسياسية التي غالبًا ما يقال: أنها بدائل الدراسة الأدبية، فالكثيرون من أبرز الباحثين في الأدب -وخاصة في الأدب المقارن- لا يهتمون في الواقع بالأدب على الإطلاق، بل بتاريخ الرأي العام وبأقوال الرحالة، وبالأفكار الشائعة عن الشخصية الوطنية... لكن البحث الأدبي لن يحرز أي تقدم من الناحية المنهجية، إلا إذا قرر أن يدرس الأدب كموضوع متميز من غيره من نشاطات الإنسان ومنتجاته.

وإذا كان رينيه ويليك قد وضع أسس الاتجاه الأمريكي في الأدب المقارن فإن ريماك Remak H.H. قد عمل على صياغة هذه الأسس وإخراجها في قالب منهجي منسق، وذلك في مقالته "الأدب المقارن مفهومه ووظيفته" التي نُشرت سنة 1961م "Comparative Literature, its definition and function"، يتسع لديه مفهوم الأدب المقارن ليشمل دراسة الأدب مقارنة بالعلوم والفنون الأخرى، فهو يعرف الأدب المقارن بقوله: هو دراسة الأدب بحيث تتعدى القطر الواحد، ودراسة العلاقات القائمة بين الأدب من ناحية وبين مجالي المعرفة والمعتقدات الأخرى كالفنون، والفلسفة، والتاريخ، والعلوم الاجتماعية، والعلوم البحتية، والأديان... الخ من الناحية الأخرى.

ومن هذا التعريف نستطيع أن نحدد ملامح الاتجاه الأمريكي، ونلخص ما طرحناه سابقًا من خلال تحليل، مضمونه:

- ففي قوله: "دراسة الأدب بحيث تتعدى القطر الواحد" يلخص ما طرحه رينيه ويليك من آراء، وليتجاوز معظم الهفوات التي ظهرت في الاتجاه الفرنسي، وليتلاءم المفهوم الجديد مع المتغيرات، والمطالب الملحة لدى المؤيدين لهذا الاتجاه، فقد أستبعد من التعريف الإشارة إلى دراسة التأثير، أو دراسة العلاقات، ولم يذكر القومية أو اللغة، وإنما ذكر "دراسة الأدب" ليتم التركيز على النصوص الأدبية لا على دراسة العوامل الخارجية، كالمصادر والوثائق والظروف الاجتماعية،كما أن دراسة الأدب خارج القطر الواحد تشمل دراسة التأثير، ودراسة التشابهات بين عدد غير محدد من الآداب، بحيث تتعدَّى "القطر الواحد"، بينما كانت الدراسة المقارنة في الاتجاه الفرنسي تهتم بدراسة التأثير بين أدبين قوميين في الغالب، وبهذا تتسع المقارنات لتشمل كل دراسة لا تكتفي بأدب قومي واحد، سواء أكانت هذه الدراسة تتناول التأثير أم تدرس التشابهات، ضمن آداب قومية لغتها واحدة أم تنتمي للغات مختلفة.

- "دراسة العلاقات القائمة بين الأدب من ناحية وبين مجالي المعرفة والمعتقدات الأخرى"، وفي هذا الجزء من التعريف، يضيف إلى الأدب المقارن مجالًا جديدًا، لم يكن موجودًا في الاتجاه الفرنسي، وبهذا تصبح دراسة الأدب مقارنة مع الرسم أو النحث أو فن او علم آخر، ضمن الدراسات الأدبية المقارنة، فالمهم أن يصبح النص الأدبي محورًا للمقارنة، فالهدف عندهم هو الكشف عن جماليات النص الأدبي، ومن هنا نلاحظ اختفاء الإشارة إلى المؤلف أو الاتجاهات أو عوامل التأثير.

وبهذا يتضح تأثير النسق الثقافي الإنساني الرافض للتاريخية الوضعية والحتمية التاريخية في ظهور هذا الاتجاه، فقد مثل هذا السياق مخرجًا -كما

يبدو- من طغيان التوجه التاريخي في القرن التاسع عشر، فظهر هذا مركزًا على النصوص الأدبية بوصفها نتاجًا جماليًّا إنسانيًّا، ولذا أتجه الأدب المقارن إلى الاهتمام بدراسة جماليات الآداب، ولم يعد هدفه إكمال كتابة تاريخ الأدب القومي، أو إثبات مدى إسهام قومية في آداب قوميات أخرى، أو إثبات أن تشابه الظروف الاجتماعية يؤدي إلى تشابه الآداب القومية، بل أصبحت مقارنة جماليات النصوص الأدبية بين عدد من الآداب هي محور اهتمامات أصحاب هذا الاتجاه، فالعمل الأدبي عندهم مثل اللوحة الفنية لا تسأل عن أصول مبدعها أو قوميته.

ولكن هذا لا يعني أن المفهوم الأمريكي ظل استجابةً لواقع وثقافة الولايات المتحدث، وإنما وجد أنصارًا ومؤيدين في مختلف أنحاء العالم، حتى في فرنسا نفسها.

ع2: